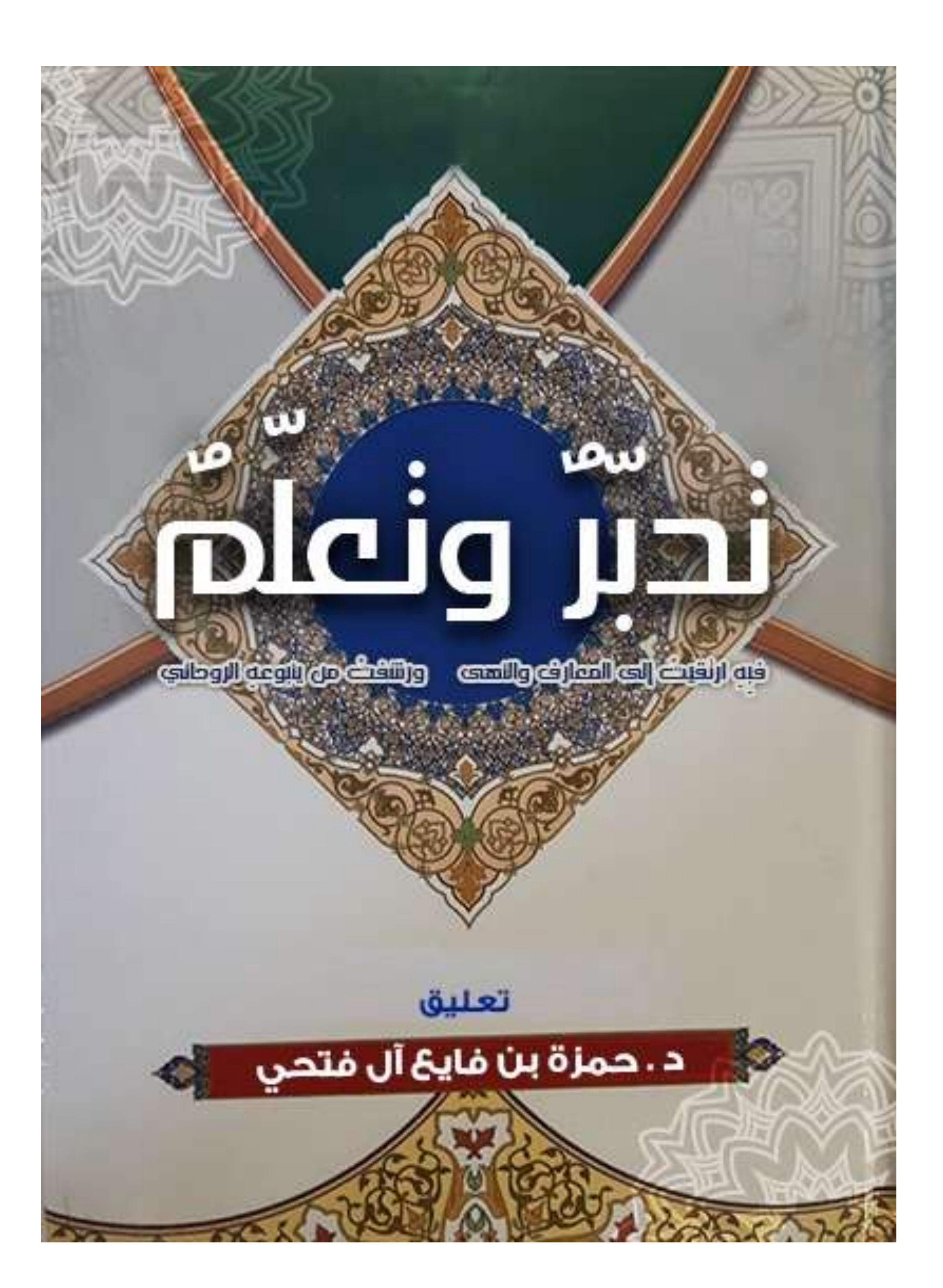


تدبّر وتعلّم
فيه ارتقيتُ إلى المعارف والهدى ورشفتُ من ينبوعه الروحاني
تعليق
د . حمزة بن فايع آل فتحي


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مبارك لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ

ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص : ٢٩] .

(وندمتُ على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن).

الإمام سفيان الثوري رحمه الله .

(القرآن بستانُ العارفين، فأينما حلوا منه حلوا في نزهة)

محمد بن واسع رحمه الله .

(عليكم بالقرآن، فإنه فهمُ العقل، ونورُ الحكمة، وينابيعُ العلم؛

وأحدثُ الكتب عهداً بالرحمن) كعب الأحبار رحمه الله .

فهرس الموضوعات

البـــداية

الحمدُ لله رب العالمين ، والصلاةُ والسلام على خاتم النبيين،

وعلى آلهِ وصحبه الطيبين الطاهرين ..

أما بعد:

فاستكمالا لمشروع تقريب القرآن لجماهير الأمة ، وتيسير قضاياه، وتفهيم محتواه، وتسهيل معانيه ، نعمد في هذا المختصر الى معان تدبرية عزيزة ، ومن خلال آيات غريبة ، ومصطلحات فريدة ، قد لا تطرقها الألسن ، ولا تتناولها الدروس، ويغض الطرف عنها اللغويون المعاصرون ، فتبيت مع طول الهجر المعنوي والتدبري، كأنها كلماتٌ أعجمية ، أو صماء ، تتلى بلا

فهم، وتردد بلا استيعاب . فاستحببنا طرق ألفاظ غير معروفة ، نبينها ونتفقهُ فيها، حتى نجليها ، ونستقوي بمعانيها وألفاظها.

ولذلك ما يختار هنا من غريب القرآن ونوادره اللفظية، والتي لا تعرف للوهلة الأولى ، وقصدنا التقريب والتفهيم

وليس المراد بالغرابة هنا مجافاتها للسياق، أو خروجا عن جمال النظم القرآني ، كلا..! بل هي نوع من جمال أخاذ، وأسلوب جذاب ، ولذلك قال الرافعي رحمه الله مبينًا هذه القضية : "وفي القرآن ألفاظٌ، اصطلح العلماء على تسميتها بالغرائب، وليس المراد بغرابتها أنها منكرة أو نافرة أو شاذة، فإن القرآن منزه عن هذا جميعه، وإنما اللفظة الغريبة هاهنا هي التي تكون حسنةً

مستغربة في التأويل، بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر الناس"

وكما يحزننا هشاشةُ التدبّر القرآني تجاه آيات الكتاب، يحزننا أيضًا جهلُنا بغريب القرآن الجذاب ، وجهلنا بلغتنا العربية الفسيحة ، والتي تعلُّمُها بوابة لفهم القرآن وتبسيط عملية التدبر ...! فكم في القرآن من كلماتٍ جميلة عجيبة، تثير فيك السؤال ، وتوقظ منك الاستطلاع ، وتدق فيك جرس النباهة ، وأنَّ ترك القرآن بلا تفهم واستبصار ، يضاعف من عملية الجهالة المتراكمة في حياتنا تجاه ديننا وكتاب ربنا .

فأحببنا في هذه الرسالة المصغرة تقريب بعض معاني الغريب، وتسهيل مراميه، وبعض العظات المستفادة من سياقه القرآني ، لا

سيما وأنها صقل للسان العربي، ومعرفتها ثـراء لغـوي، وقراءتهـا استظهار لفظي بديع، فهي لا تصعب الكتاب ، بقـدر مـا تحملنـا على الاستكناه والاستبصار، واستلذاذ متعة هـذا الكتـاب العزيـز !...

ولذلك يخطئ كثيرون في استعمال الغريب اللغوي شـعرا أو نثـرا في غير الشائق المناسب ، خلافا للأساليب القرآنيـة ، تعـاين فيهـا قصـور الروعـة ، وتلامـس معـالم الإبـداع ، وتطـالعُ عظمـة الاسـتخدام ، ولـذلك تقبـل عليـه النفـوس ، وتتسـاءلُ العقـول، وتندهش الأفهام ، ولا يزالُ العاقلُ اللبيـب في حيـرةٍ وتعجـب مـن عظيم المحتوى ، وروعة المضمون ، وجماليات الأسلوب .

ومن ثَمَّ كنا مدعوينَ لتدبره، وقراءته حق قراءته ، والإحاطة به من جوانبه ، وجعله سميرَ القلب ليلًا ونهارًا ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مبارك لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص : ٢٩] .

ومن المؤسفِ تعامل بعض المسلمين مع الغريب بالتجاهل التام ، وهجره مددًا طويلة ، او اعتباره كان خطابا للصحابة الكرام ، ويكفينا من القرآنِ موعظته العامة، وحسناته المجموعة، وترقيقه القلبي..! وهذه مصيبةٌ تفاقمُ من انحطاط الناسِ فكريًا وعلميا في القضايا الدينية ، والله المستعان .

ولأهمية الغريب القرآني وكثرته في كتاب الله، خصه الأئمة بالتأليف قديمًا وحديثًا ، ومن أشهرها : "تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب" لأبي حيان الأندلسي صاحب التفسير،

"وغريب القرآن" لابن قتيبة، "والمفردات " للراغب الأصفهاني رحم الله الجميع .

وفي العصر الحديث :" السراج في بيان غريب القرآن "، للدكتور محمد الخضيري، ذاع وانتشر ونفع الله به. والأقرب أنه معجم قرآني حوى الغريب وسواه .

وكتاب " وجه النهار الكاشف عن معاني كلام الواحد القهار"، للدكتور الفاضل عبدالعزيز الحربي . و " كلمات القرآن " للشيخ حسنين مخلوف .وفق الله الجميع .

وهنالك سلسلة مصورة لأخينا الدكتور عبد الرحمن الشهري حفظه الله، سلسةٌ وماتعة .

وقد التزمت تلك الكتبُ الترتيبَ القرآني غالبا أو الهجائي حسب الكلمات كما في مفردات الراغب.

وأما في هذا المختصر ، فكانت مختارات قرآنيةً مفسرةً مرققة ، مقصدها (التدبر والتعلم)، ترنّ في الذهن، أو تُسمع من إمامٍ أو خطيب على غرار (قرأَ الإمامُ) . ولعلها لبِنةٌ مبدئية ، تؤسس لبنيان قرآني لغوي بهيج ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

محايل عسير

صبيحة ٨/ ٥/ ١٤٤٣هـ

١/ (كنا طرائق قِددا)

- هذا من قولِ إخواننا الجن حينما قابلوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وتلا عليهم القرآن ، فآمنوا ، وانشرحت نفوسُهم، وطابت أعمالهم ، فتحدثوا عن حالهم قبل نزول القرآن واطلاعهم عليه ، بأن منهم صلحاء مسلمين ، ومنهم دون ذلك انحرافًا وتبدلاً ..(كنا طرائق قددا) سورة الجن .

أي جماعات متفرقة وفرقًا شتى، وأصنافًا مختلفة وذوي مذاهب متفاوتة، والقدة القطعة من الشيء وصار القوم قدداً إذا تفرقت أحوالهم، واستعمال القدد في الفِرَق مجاز، والمعنى: كنا ذوي طرائق قدداً أو كانت طرائقنا طرقًا قدداً ..!

- فهم هنا يحكونَ عن أديانهم وتوجهاتهم الفكرية ، وأنهم ليسوا على وفاق وائتلاف ، بل أهواءٌ وطرق ومسالك! والسببُ خفاء الدين في حياتهم ، وركونهم إلى شركيات مختلفة، وأهواء متنابذة، نتج عنها عظمة الشقاق، واستدامة النزاع ..!
- وفي هذا دليلٌ على فضل هذا الإسلامِ، وعظمة القرآن ، وأنّ من مقاصده التجميعَ والوحدانية ، وليس الافتراق والفردانية ، ولذلك في الإسلام ، الدينُ واحد، والإله واحدٌ، والشرائع متفقة ، ولا قيمةَ لأحد إلا بالنص الشرعي، والدليل الرباني ، القاطع من الله ورسوله .

- وفي هذا تعريضٌ بالأقوام المختلفين ، الذين لا يستقر لهم قرار، ولا يدوم لهم منهج، ولا يستقيمُ لهم مسلك، بسبب انعدام الوجهة، وانطماس الدين الحق في حياتهم، فنالهم ما نالهم من التفرق والاختلاف ، والله المستعان.

٢/ فَرَدُّوا أيدِيَهُم فِي أفواههم..!

- تنوعت أساليبُ المشركين في التصدي لدعوات المرسلين والسخرية بها وبأهلها، ومن أعجب ذلك ما ذكره الله في سورة إبراهيم (فَرَدُّوا أَيدِيَهُم فِى أَفوَٰهِهِم) أي وضعوا أيديهم على أفواههم استهزاء وتعجبًا كما يفعله من غلبه الضحك من وضع يده على فيه. وأولها : ﴿ أَلَم يَأتِكُم نَبَؤُا ٱلَّذِينَ مِن قَبلِكُم قَومِ نُوح وَعَاد وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِن بَعدِهِم لَا يَعلَمُهُم إِلَّا ٱللَّهُ جَاءَتهُم رُسُلُهُم بِٱلبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوا أَيدِيَهُم فِى أَفوَٰهِهِم وَقَالُوا إِنَّا كَفَرنَا بِمَا أُرسِلتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكّ مِّمَّا تَدعُونَنَا إِلَيهِ مُرِيب ﴾ . سورة إبراهيم: ٩ .

- وهـذا أبلـغ في الاسـتهزاء مـن وضـعهم أيـديهم في أفـواه الرسل، أو العضّ عليها غيظًا من خطاب الرسـل ، أو الـرد بالكلام تكذيبًا للخطاب الـدعوي ، أو رد أيـدي الرسـل في أفواههم عنفًا وغصبا ..! وقيـل إشـارة للرسـل بالسكوت توبيخًـا وتقبيحـا ، وهـو مقـارب للمختـار هنـا، وأن حركـةَ الاستهزاء الجسدي أشد من المقارعة بـالكلام ، لمـا فيهـا مـن سـخرية لاذعـة ، وطعـون شـديدة، ولكـنّ الرسـلَّ يواجهونهـا بالصـبر والاحتمـال (فاصـبر كمـا صـبر أولـو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم) سورة الأحقـاف. والله الموفق.

٣/ إِذ نَفَشَت فِيهِ غَنَمُ ٱلقَومِ..!

- نقشت الدواب ليلًا على بستان ، لتندلع خصومة، يلتقي أصحابها في المحكمة الشرعية عند داود وسليمان عليهما السلام..! "ونفشت " مفردةٌ نادرةُ لا تكاد تسمعها في لغةِ الناس هذه الأيام ولا أدبائهم ولا شعرائهم ..(إذ نفشت فيه غنم القوم) والنفش قالوا : هو الرعي، وقيل النفَش بالتحريك أن تنشر الغنم بالليل من غير راع أي تفرقت وانتشرت، ورعت بأن انفلتت فَهَذِهِ القَضِيَّةُ الَّتِي تَضَمَّنَتْها الآيَةُ مَظْهَرٌ مِن مَظاهِرِ العَدْلِ ومَبالِغِ تَدْقِيق فِقْهِ القَضاءِ، والجَمْعُ بَيْنَ المَصالِحِ والتَّفاصِيلِ بَيْنَ مَراتِبِ الِاجْتِهادِ، واخْتِلافُ طُرُقِ القَضاءِ بِالحَقِّ مَعَ كَوْنِ الحَقِّ حاصِلًا

لِلْمُحِـقِّ. فَمَضْـمُونُها أَنَّهـا الفِقْـهُ فِي الـدِّينِ الَّـذِي جـاءَ بِـهِ المُرْسَـلُونَ مِـن قَبْـلُ... ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَـٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَـانِ فِـى ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَـٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء : ٧٨] .

- أي: واذكر يا محمد ، هذين النبيين الكريمين " داود " و " سليمان " عليهما السلام مثنيا مبجلا، إذ آتاهما الله العلم الواسع والحكم بين العباد، بدليل قوله: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ أي: إذ تحاكم إليهما صاحب حرث، نفشت فيه غنم القوم الآخرين، أي: رعت ليلا، فأكلت ما في أشجاره، فقضى فيها دَاوُدِ فراجعه ابنه سليمان، كما قال: (فَفَهَّمۡنَـٰهَا سُلَيۡمَـٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمًا

وَعِلمـا وَسَـخَّرنَا مَـعَ دَاوُۥدَ ٱلجِبَـالَ يُسَـبِّحنَ وَٱلطَّيـرَ وَكُنَّـا فَـٰعِلِينَ﴾ .

- وخُلاصَتُها : أنَّ داوُدَ عليه السلام ، جَلَسَ لِلْقَضاءِ بَيْنَ النّاسِ، وكانَ ابْنُهُ سُلَيْمانُ حِينَئِذٍ شابًا يافِعًا فَكانَ يَجْلِسُ خارِجَ بابِ بَيْتِ القَضاءِ. فاخْتَصَمَ إلى داوُدَ رَجُلانِ أحَدُهُما عامِلٌ في حَرْثٍ لِجَماعَةٍ في زَرْعٍ أوْ كَرْمٍ، والآخَرُ راعِي غَنَمٍ لِجَماعَةٍ، فَدَخَلَتِ الغَنَمُ الحَرْثَ لَيْلًا فَأفْسَدَتْ ما فِيهِ ، فَقَضى داوُدُ أنْ تُعْطى الغَنَمُ لِأصْحابِ الحَرْثِ إذْ كانَ ثَمَنُ تِلْكَ الغَنَمِ يُساوِي ثَمَنَ ما تَلِفَ مِن ذَلِكَ الحَرْثِ، فَلَمّا حَكَمَ بِذَلِكَ وخَرَجَ الخَصْمانِ فَقَصَّ أمْرُهُما عَلى سُلَيْمانَ، فَقالَ: لَوْ كُنْتُ أنا قاضِيًا لَحَكَمْتُ بِغَيْرِ هَذا. فَبَلَغَ ذَلِكَ داوُدَ فَأحْضَرَهُ وقالَ لَهُ:

بِماذا كُنْتَ تَقْضِي ؟ قالَ: إنِّي رَأيْتُ ما هو أرْفَقُ بِالجَمِيعِ. قالَ: وما هو ؟ قالَ: أنْ يَأْخُذَ أصْحابُ الغَنَمِ الحَرْثَ يَقُومُ عَلَيْهِ عامِلُهم ويُصْلِحُهُ عامًا كامِلًا ، حَتّى يَعُودَ كَما كانَ ، ويَرُدَّهُ إلى أصْحابِهِ، وأنْ يَأْخُذَ أصْحابُ الحَرْثِ الغَنَمَ تُسَلَّمُ لِراعِيهِمْ ، فَيَنْتَفِعُوا مِن ألْبانِها وأصْوافِها ونَسْلِها في تِلْكَ المُدَّةِ ، فَإذا كَمُلَ الحَرْثُ وعادَ إلى حالِهِ الأوَّلِ ، صَرَفَ إلى كُلِّ فَرِيقٍ ما كانَ لَهُ. فَقالَ داوُدُ: وُفِّقْتَ يا بُنَيَّ. وقَضى بَيْنَهُما بِذَلِكَ.

- وقال الحسن رحمه اللهُ : لولا هذه الآية؛ لرأيت القضاة هلكوا، ولكنه تعالى أثنى على سليمان بصوابه، وعذر داود باجتهاده. وقال ابن القيم رحمه اللهُ: فَذَكَرَ هَذَيْنِ النَّبِيَّيْنِ

الكَرِيمَيْنِ، وأثْنى عَلَيْهِما بِالعِلْمِ والحُكْمِ، وخَصَّ سُلَيْمانَ بِالفَهْمِ فِي هَذِهِ الواقِعَةِ المُعَيَّنَةِ، وقالَ عَلِيُّ بْنُ أبِي طالِبٍ وقَدْ سُئِلَ " هَلْ خَصَّكم رَسُولُ اللهِ ﷺ بِشَيْءٍ دُونَ النّاسِ؟ " فَقالَ: لا والَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ وبَرَأ النَّسَمَةَ، إلّا فَهْمًا يُؤْتِيهِ اللهُ عَبْدًا فِي كِتابِهِ، وما فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، وكانَ فِيها العَقْلُ، وهو الدِّياتُ، وفِكاكُ الأسِيرِ، وأنْ لا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكافِرٍ "، وفِي كِتابِ عُمَرَ بْنِ الخطاب لأبِي مُوسى الأشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما: والفَهْمَ الفَهْمَ فِيما أُدْلِيَ إلَيْكَ، فالفَهْمُ نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ عَلى عَبْدِهِ، ونُورٌ يَقْذِفُهُ اللهُ فِي قَلْبِهِ، يَعْرِفُ بِهِ، ويُدْرِكُ ما لا يُدْرِكُهُ غَيْرُهُ ولا يَعْرِفُهُ،.." والله الموفق .

٤/ يُرسَلُ عَلَيكُمَا شُوَاظ مِّن نَّار..!

- في مشـهد مرعـب مـن مقـدمات القيامـة، أن لا أحـد يسـتطيع الفـرارَ أو الخـلاص مـن الوعـد المحتـوم ، واليـوم المشـهود، ومصـيره كمـا قـال تعـالى :(يُرسَـلُ عَلَيكُمَـا شُـوَاظ مِّـن نَّـار وَنُحَـاس فَـلَا تَنتَصِـرَانِ) سـورة الـرحمن: ٣٥ . وقبلهـا جلـى ذلك بقوله : ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْـتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُـذُوا مِـنْ أَقْطَـارِ السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُـذُوا لَا تَنْفُـذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ﴾ أَيْ: لَا تَسْتَطِيعُونَ هَرَبًا مِنْ أَمْـرِ اللهِ وَقَـدَرِهِ، بَـلْ هُـوَ مُحِيطٌ بِكُمْ، لَا تَقْدِرُونَ عَلَى التَّخَلُّصِ مِنْ حُكْمِهِ، وَلَا النُّفُـوذِ عَـنْ حُكْمِـهِ فِـيكُمْ، أَيْنَمَـا ذَهَبْتُمْ أُحِـيطَ بِكُـمْ، وَهَـذَا فِـي مَقَـامِ الْمَحْشَرِ، الْمَلَائِكَةُ مُحْدِقَةٌ بِالْخَلَائِقِ، سَبْعَ صُفُوفٍ مِنْ كُـلِّ

جَانِبٍ، فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى الذَّهَابِ ﴿إِلا بِسُلْطَانٍ﴾ أَيْ: إِلَّا بِأَمْرِ اللهِ، ﴿يَقُولُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ. كَلا لا وَزَرَ. إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ سورة الْقِيَامَةِ: ١٠ -١٢ .

- فيرسل عليهم (شُواظ) وهو بِضَمِّ الشِّينِ وكَسْرِها: اللَّهَبُ الَّذِي لا يُخالِطُهُ دُخانٌ لِأَنَّهُ قَدْ كَمُلَ اشْتِعالُهُ وذَلِكَ أَشَدُّ إحْراقًا، والنحاس هو الدخان وقيل الصفر المذاب، يصب على رؤوسهم ، فلا يخلصونَ هربًا ولا نجاة ولا سلامة ، بل هم مهزومون مغلوبون تحت قدرة الله وحكمه، لا منجى منه إلا إليه..!

- وفي ذلك تحقيق ليوم القيامة، وأن الثقلين مجموعون بلا نقصان، ومجلوبون بلا هروب، وتأكيد على العدالة الإلهية ،

وعظـم قدرتـه تعـالى، وأنـه لا يعجـزه شـيءٌ في الأرض ولا في السماء ، وهي بفحواها دليل على ضـعف الإنسـان وهوانـه في ملك الله وقدرته وجبروته .. والسلام.

٥/ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحوَى..!

- نبتَ الزرعُ وطابَ وترعرع بفضل الله وقدرته، حتى شاهده الناس، وسُعدوا وانتفعوا بثمره وخضرته، ثم بعد مدة يصبح هشيما متغيرا ، وهو من دلائل قدرة الله تعالى ..(والذي أخرج المرعى ، فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحوَىٰ﴾ [الأعلى :٥]. أي فجعل المرعى بعد أن كان أخضر هشيمًا يابسًا جافًا باليًا كالغثاء الذي يكون فوق السيل، ويطلق أيضًا الغثاء على القماش والزبد والهالك البالي من ورق الشجر،..!

- آيةٌ نشاهدها كل حين، ونحن ننتفع بهذ الكون ومسخراته، وقد سَحرنا جمالُ الزروع والحدائق ، ثم فجاءة تزول وتتلاشى ، ابتلاءً من الله ، أو سننًا جارية، وطبيعة دنيوية، فتقل الرغبة فيه، ولم يعد جاذبًا جميلا كما السابق ..!ووصفه

بقوله:(أحوى) وهي النادرة الغريبة ، التي لا تلوكها الألسن إطلاقًا ، ومعناها هنا : أَسْوَدَ، صِفَةٌ مُؤَكِّدَةٌ لِـ: "غُثاءً"؛ لِأَنَّ النَّباتَ إذا يَبِسَ تَغَيَّرَ إلى (الحُوَّةِ)، وهي السَّوادُ.

- وكل ذلك ينبغي أن يغرس فينا الإيمانَ بالله وقدرته، وتعظيمه وتنزيهه عن كل ما يقوله أهل الشرك والطغيان ، ولذلك افتتح السورة بقوله: (سَبِّحِ ٱسمَ رَبِّكَ ٱلأَعلَى ١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣ وَٱلَّذِى أَخرَجَ ٱلمَرعَىٰ ٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَاءً أَحوَىٰ). ومن كانت تلك صفاته كان جديرا بالعبادة والتوحيد ، ونبذ النديد والشريك ، ويُروى عند أبي داود والدارمي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، أنه لما نَزَلَتْ : {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} قَالَ عليه الصلاة والسلام : " اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ ". والله الموفق .

٦/ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ..!

- تخيل أن صخرا ضخمًا أصمَّ، مركوزا في الجبال، يستطيعُ بعض البشر بفضل الله خرقَه وتقطيعه إلى منازل ودور، والانتفاع به في شؤون حياتهم ...! كما حصل لقوم ثمود، منحهم الله تلك القوة والقدرة..(وثمودَ الذين جابوا الصخر) سورة الفجر : ٩ . أي قطعوه وخرقوه ، والجَوبُ القطع ، ومنه جابَ البلاد إذا قطعها، ومنه سمي جيب القميص لأنه جيب أي قطع، قال المفسرون : أول من نحتَ الجبالَ والصخور ثمود ، فبنوا من المدائن ألفًا وسبعمائة مدينة كلَّها من الحجارة، ومنه قوله سبحانه (وتنحتون من

الجبـال بيوتـًا آمنـين) وكـانوا ينحتـون الجبـال وينقبونهـا ويجعلون تلك الأنقاب بيوتـًا يسكنون فيها.

- وهذه قدرةٌ عجيبة لم تؤت لبشر سواهم ، ونحـن في زماننـا لا تقطع الجبال والصخور إلا بالمعدات الثقيلة ، المكلفة مـالًا وجهـدًا ووقتـا ، بينمـا هـم تيسـر لهـم ذلـك ، وبعـث الله لهـم صالحًا عليه السلام، فكفروا واستكبروا وكانوا قومًا طـاغين، ولـم يحفظوا نعمةَ الله عليهم باتباع رسـله، وشـكر آلائـه، فقـد بـدّلوا نعمـة الله كفـرًا ، وأحلـوا قـومهم داو البـوار، والله المستعان .
- والأعجـبُ في ذلـك أن يكـونَ ذلـك العمـل والنقـب بأيـديهم وليس لهـم آلةٌ ولا معاول سوى ما وضـعه الله فـيهم مـن القـوة

والتــذليل، بحيــث تلــين الصــخور ، وتســتجيب الجبــال ، وينتفعون بها انتفاعًا باهرًا ومحيرًا..! فالخلاصة أنّ جابوا هنا قطعوا وليس أحضروا في عاميتنا.. والله الموفق .

٧/ قل أعوذ بربّ الفلق..!

- متعوذٌ لنا على الدوام ،ومستغاثٌ بها كلَّ صباح ومساء، ودبر كلِّ فريضة ، ومع ذلك نجهل فلقها، ووقبها وغاسقها..، وكذلك لا ندري ما النفاثات، وكيف عقدها وحبائلها... وقد قال صلّى اللهُ عليه وسلم في فضل نزولها : (أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ هَذِهِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُر مِثْلُهُنَّ قَطُّ) رواه مسلم في صحيحه .

وكان إذا اشتكى رقى نفسه بها .

- والأصحُّ في (الفلق) أنه فلقُ الصبح وطلوعه ، وهو المراد بقوله (فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾ [الْأَنْعَامِ: ٩٦] . وقيل (فالق الحب والنوى) سورةُ الأنعام. وقد قيل في وجه تخصيص الفلق ، الإيماء إلى أن القادر على إزالة هذه الظلمات الشديدة عن

كل هذا العالم ، يقدر أيضاً أن يدفع عن العائذ كل ما يخافه ويخشاه . وقيل طلوع الصبح كالمثال لمجيء الفرج فكما أن الإنسان في الليل يكون منتظراً لطلوع الصباح ، كذلك الخائف يكون مترقبًا لطلوع صباح النجاح والفرح والبهجة . والمعنى : أي: ألجأ وألوذ، وأعتصم ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ أي: فالق الحب والنوى، وفالق الإصباح. ولا يصح أنه جهنم أو واد أو بئر فيها ..!

- والغاسق هنا هو : الليل والغسق الظلمة، حيث تكثر فيها الشرور والهوام والمخاوف ، ووجه تخصيصه بالذكر، أن الشر فيه أكثر والتحرز من الشرور فيه أصعب، ومنه قولهم الليل أخفى للويل . إذا وقَبَ أيْ: إذا دَخَلَ ظَلامُهُ في كُلِّ

شَيْءٍ، وأصْلُ الوَقْبُ النُّقْرَةُ والحُفْرَةُ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ في الدُّخُولِ، ومِنهُ قَوْلُهُ: وقَبَ العَذابُ عَلَيْهُمُ فَكَأنَّهم... لِحَقَتْهُمُ نارُ السَّمُومِ فَأُخْمِدُوا ..!ومعنى (النفثات في العقد) هن السواحر أي وأعوذ برب الفلق من شر النفوس النفاثات أو النساء النفاثات ، وهو فيهن أغلب. والنفث النفخ كما يفعل ذلك من يرقي ويسحر، قيل مع ريق، وقيل بدون ريق، والعُقد جمع عقدة وذلك أنهن كن ينفثن في عقد الخيوط ، حين يَسْحرنَ بها. والله الموفق .

٨/ وجاءت سيَّارةٌ فأرسلوا..!

- كثيرًا ما نسمعها وينقدح عند بعضهم التصور الطفولي القديم، أنها المركبة الحديثة ذات الدفع السريع ، والعجلات الخاطفة بمحرك محرق للبنزين ..! وليس كذلك ولكنها جماعات البشر السائرة والمسافرة، وجاءت سيارة : أَيْ رُفْقَةٌ مَارَّةٌ يَسِيرُونَ مِنَ الشَّامِ إِلَى مِصْرَ فَأَخْطَئُوا الطَّرِيقَ وَهَامُوا حَتَّى نَزَلُوا قَرِيبًا مِنَ الْجُبِّ، الذي ألقيَ فيه يوسف عليه السلف . وفي اللسان: " السَّيْرُ الذهاب ، سارَ يَسِيرُ سَيْراً ومَسِيراً وتَسْياراً ومَسِيرةً وسَيْرورَةً ، والسَّيَّارَةُ القافلة ، والسَّيَّارَةُ القوم يسيرون ، أُنث على معنى الرُّفْقَةِ أَو الجماعة".

- وقد وردت في القرآن في ثلاثة مواضع (متاعا لكم وللسيارة) في المائدة. أي تُمتعون بطعام البحر أي المسافرين منكم يتزودونه ويجعلونه قديداً، وقيل السيارة هم الذين يركبونه خاصة. وفي يوسف هذا موضع ، والآخر (يلتقطه بعض السيارة) وكلها في معنى المسافرين والمارة ..!
- وبسبب فقرنا اللغوي نقصر في استخدام هذه المفردة على المارة المسافرين ، وغلبت المركبةُ الحديثة عليها حتى غطت الأفق والذهن والروح ، وانعكست على تفاسير ساذجة تجاه الآيات المذكورة فيها ، والله المستعان .

٩/ وَأرسَلَ عَلَيهِم طَيرًا أبَابِيلَ..!

- في قصةِ أصحاب الفيل حيث الزهو المتعالي والجيش العرمرم، والفيلةُ الضخام ، وظنوا أنهم ناصرتهم في مقصدهم الخبيث ، وسيرهم العاتي، وبطشهم الشديد، فأتاهم اللهُ من حيث لم يحتسبوا ، وكانت نهايتهم ، كما قال العزيز الحكيم..(وَأَرسَلَ عَلَيهِم طَيرًا أَبَابِيلَ) سورة الفيل . وأَبابِيلَ أَيْ مُجْتَمِعَةٌ. وَقِيلَ: مُتَتَابِعَةٌ، بَعْضُهَا فِي إِثْرِ بَعْضٍ، قال بعضهم : كادَتْ تُهَدُّ مِنَ الأَصْواتِ راحِلَتِي ... إِذْ سالَتِ الأَرْضُ بِالجُرْدِ الأبابِيلِ ...! وكلُّ طيرٍ في منقاره حَجَرٌ صلبٌ من سِجِّيل، وهو الطين المشوي؛ لأنه يكون أصلب، وهذا

الحجَر ليس كبيرًا، بل هو صغيرٌ يضرب الواحدَ من هؤلاء مع رأسه ويخرج من دُبُره، والعياذُ بالله .

- وفي السورة قال : (بحجارة من سجيل) وهو الطين المطبوخ والصلب الشديد. وقوله : (فجعلهم كعصف مأكول) وهذا غريبٌ ثالث .. وهو التبن وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: الْعَصْفُ: الْقِشْرَةُ الَّتِي عَلَى الْحَبَّةِ، كَالْغُلَافِ عَلَى الْحِنْطَةِ. وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللهَ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أَهْلَكَهُمْ وَدَمَّرَهُمْ، وَرَدَّهُمْ بِكَيْدِهِمْ وَغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا، وأهلك عَامَّتَهُمْ، وَلَمْ يَرْجِعْ منهم بِخَيْرٍ إِلَّا وَهُوَ جريح، كَمَا جرى لِمَلِكِهِمْ أَبْرَهَةَ، فَإِنَّهُ انْصَدَعَ صَدْرُهُ عَنْ قَلْبِهِ حِينَ وَصَلَ إِلَى بَلَدِهِ صَنْعَاءَ، وَأَخْبَرَهُمْ بِما جَرَى لَهُمْ، ثُمَّ مات.

- وهذا جزاءُ كل معتدٍ أثيم ، يحارب دين الله وبيته ...! فملك بعده ابنه يَكْسُومُ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ أَخُوهُ مَسْرُوقُ بْنُ أَبَرْهَةَ ثُمَّ خَرَجَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنَ الْحِمْيَرِيُّ إِلَى كِسْرَى فَاسْتَغَاثَهُ عَلَى الْحَبَشَةِ، فَأَنْفَذَ مَعَهُ مِنْ جُيُوشِهِ فَقَاتَلُوا مَعَهُ، فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِمْ مُلْكَهُمْ، وَمَا كَانَ فِي آبَائِهِمْ مِنَ الْمُلْكِ، وجاءته وُفُودُ الْعَرَبِ للتهنئة. وكانت هذه الحادثة مقدمة لمولد رسول الأمة نبينا صلى الله عليه وسلم ، فقد وُلد في عامها عام الفيل . والله الموفق .

١٠/ سنسِمُه على الخرطوم..!

- توعدٌ من الله وتهديدٌ لذلك الحلّاف المهين المحارب للخير ، المعتدي الأثيم، بأنه سيذله إذلالًا شديدًا في وجهه وفي خرطومه أي أنفه..! والوَجْهُ أكرمُ مَوْضِعٍ في الجَسَدِ، والأَنْفُ أكْرَمُ مَوْضِعٍ مِنَ الوَجْهِ، لتقدمه لَهُ، ولِذَلِكَ جَعَلُوهُ مَكانَ العِزِّ والحَمِيَّةِ، واشْتَقُّوا مِنهُ الأَنَفَةَ، وقالُوا: الأَنَفُ في الأَنْفِ، وحَمى أنْفُهُ، وفلان شامِخُ العِرْنِينِ. وقالُوا في الذَّلِيلِ: جُدِعَ أنْفُهُ، ورَغِمَ أنْفُهُ. فَعَبَّرَ بِالوَسْمِ عَلى الخُرْطُومِ عَنْ غايَةِ الإذْلالِ والإهانَةِ؛ لِأنَّ السِّمَةَ عَلى الوَجْهِ شَيْنٌ وإذالَةٌ، فَكَيْفَ بِها عَلى أكْرَمِ مَوْضِعٍ مِنهُ...

- وقيل وقع ذلك في غزوة بدر ابتداءً ، لـذلك المشـرك الأفـاك ، فخُطـم بالسـيف علـى أنفـه وصـار معروفًـا بـذلك . وقيـل : سنسمه بالسواد على الأنف وذلك أنه يسود وجهه قبل دخول النار وقيل: سنجعل له في الآخرة العلَـم الـذي يعـرف بـه أهـل النار من اسـوداد وجـوههم، ولبعضـهم : سـنلحق بـه شـيئاً لا يفارقه.

- وقِيلَ هَذا وعِيدٌ بتشويه أنْفِهِ يَوْمَ القيامة مِثْلُ قوله ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمـران: ١٠٦] وجُعِـلَ تَشْـوِيهُهُ يَوْمَئِـذٍ في أنْفِـهِ لِأنَّـهُ إنَّما بـالَغَ في عَـداوَةِ الرَّسُـولِ والطَّعْـنِ في الدِّينِ بِسَبَبِ الأنَفَةِ والكِبْرِياءِ، وقَدْ كانَ الأنْفُ مَظْهَرَ الكِبْرِ ولِـذَلِكَ سُـمِّيَ الكِبْرُ أنَفَةً اشْـتِقاقًا مِنِ اسْـمِ الأنْفِ فَجُعِلَـتْ شَوْهَتُهُ في مَظْهَرِ آثارِ كِبْرِيائِهِ.

- والمقصدُ أن كلَّ مشركٍ محارب لدين الله ، نهايته الذلة والصغار ، ولا يزال مهينًا مكسورًا ولو اجتمعت له الدنيا، وانقادت له ثرواتها، لأن الكفر شين، والضلالةَ مهانة ، والانحراف شر، والطغيان وبال وانحدار، ولذلك قال تعالى:(ومن يهنِ الله فما له من مكرم) سورة الحج . ومعلوم ذلة العصاة وانكسارهم في هذه الحياة فكيف بيوم القيامة ..؟! وقد اشتهر قول الحسن البصري رحمه الله : (إنهم وإن هملجت ـ أي تبخترت ـ بهم البراذين (الخيل التركية) وطقطقت بهم البغال إن ذل المعصية لفي قلوبهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه)..! والله الموفق .

١١/ هل في ذلك قسَمٌ لذي حجر..!

- لما أقسمَ سبحانه بالفجر وليال عشر ، والليل إذا يسر والشفع والوتر ، قال (هل في ذلك قسمٌ لذي حجر) ليؤكد عظمةَ ما أقسم به وتفخيمه هذه الأمور المذكورة، أي هل في ذلك المذكور من الأمور التي أقسمنا بها قسم أي مقنع ومكتفى في القسم لكل عاقل، والجواب نعم . أو هَلْ هو قَسَمٌ عَظِيمٌ يُؤَكَّدُ بِمِثْلِهِ المُقْسَمُ عَلَيْهِ؟! والحِجْرُ العَقْلُ؛ لِأَنَّهُ يَحْجُرُ صاحِبَهُ؛ أيْ: يَمْنَعُهُ مِنَ التَّهافُتِ فِيما لا يَنْبَغِي، كَما سُمِّيَ عَقْلًا ونُهْيَةً لِأَنَّهُ يَعْقِلُ ويَنْهى وحَصاةً مِنَ الإحْصاءِ وهو الضَّبْطُ. وقالَ الفَرّاءُ: يُقالُ إنَّهُ لَذُو حِجْرٍ إذا كانَ قاهِرًا لِنَفْسِهِ ضابِطًا لَها .

- والاستفهام تقريري، وكَوْنُهُ بِحَرْفِ (هَلْ)؛ لِأَنَّ أصْلَ (هَلْ) أَنْ تَدُلَّ عَلى التَّحْقِيقِ إذْ هي بِمَعْنى (قَدْ) . وتَنْكِيرُ (قَسَمٌ) لِلتَّعْظِيمِ أيْ: قَسَمٌ كافٍ ومُقْنِعٌ لِلْمُقْسَمِ لَهُ، إذا كانَ عاقِلًا أنْ يَتَدَبَّرَ بِعَقْلِهِ. فالمَعْنى: هَلْ في ذَلِكَ تَحْقِيقٌ لِما أقْسَمَ عَلَيْهِ لِلسّامِعِ المَوْصُوفِ بِأنَّهُ صاحِبُ حِجْرٍ.
- ولابد للعاقل أن يعيَ هذا الكلام وينتفع به، فلقد متعه الله بعقل يحجره عن الباطل والسفه، ويعظم مثل هذه المقسومات. ويدرك أنها لا تصدر إلا عن عظيم، أرسل الرسل وأنزل الكتب ، وشرع الشرائع لهداية الإنسان. ومن ملك العقول وحاز ثمارها هدي لذلك، وبلغه الله مأمنه وسعادته ...!

١٢/كأنه جِمالةٌ صفر..!

- يا لله ، ويا لعظمة الهول، وشدة الخطب يوم القيامة، لهب النار ، في ضخامته وشناعته كالإبل السود التي تضرب إلى لون فيه صفرة، وهذا يدلُّ على أن النار مظلمة، لهبها وجمرها وشررها، وأنها سوداء، كريهةُ المرأى ، شديدةُ الحرارة، نسأل الله العافية والسلامة .

- واعْلَمْ أَنَّهُ تعالى شبه الشَّرَرَ في العِظَمِ بِالقَصْرِ، وفي اللَّوْنِ والكَثْرَةِ والتَّتابُعِ وسُرْعَةِ الحَرَكَةِ بِالجِمالاتِ الصُّفْرِ، وقِيلَ أيْضًا: إنَّ ابْتِداءَ الشَّرَرِ يَعْظُمُ فَيَكُونُ كالقَصْرِ، ثُمَّ يَفْتَرِقُ فَتَكُونُ تِلْكَ القِطَعُ المُتَفَرِّقَةُ المُتَتابِعَةُ كالجِمالاتِ الصُّفْرِ، والآيات تقول: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢٩ ٱنطَلِقُوٓاْ

إِلَىٰ ظِلّ ذِى ثَلَـٰثِ شُعَب ٣٠ لَّا ظَلِيل وَلَا يُغنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ٣١ إِنَّهَا تَرمِى بِشَرَر كَٱلقَصرِ ٣٢ كَأَنَّهُۥ جِمَـٰلَت صُفر). والمرادُ: يَعْنِي دُخَانَ جَهَنَّمَ إِذَا ارْتَفَعَ انْشَعَبَ وَافْتَرَقَ ثَلَاثَ فِرَقٍ. وَقِيلَ: يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ فَيَتَشَعَّبُ ثَلَاثَ شُعَبٍ، أَمَّا النُّورُ فَيَقِفُ عَلَى رُءُوسِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالدُّخَانُ يَقِفُ عَلَى رُءُوسِ الْمُنَافِقِينَ، وَاللَّهَبُ الصَّافِي يَقِفُ عَلَى رُءُوسِ الْكَافِرِينَ. ثُمَّ وَصَفَ ذَلِكَ الظِّلَّ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ ﴿لَا ظَلِيلٍ﴾ لَا يُظِلُّ مِنَ الْحَرِّ ﴿وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ فهو لَا يَرُدُّ لَهَبَ جَهَنَّمَ عَنْكُمْ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ إِذَا اسْتَظَلُّوا بِذَلِكَ الظِّلِّ لَمْ يَدْفَعْ عَنْهُمْ حَرَّ اللَّهَبِ. (إِنَّهَا) يَعْنِي جَهَنَّمَ ﴿تَرْمِي بِشَرَرٍ﴾ وَهُوَ مَا تَطَايَرَ مِنَ

النَّارِ، وَاحِدُهَا شَرَرَةٌ ﴿كَالْقَصْرِ﴾ وَهُوَ الْبِنَاءُ الْعَظِيمُ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: يَعْنِي الْحُصُونَ.

- والجِمالاتُ: بِكَسْرِ الجِيمِ جَمْعُ جِمالَةٍ وهي اسْمُ جَمْعِ طائِفَةٍ مِنَ الجِمالِ، أيْ: تُشْبِهُ طَوائِفَ مِنَ الجِمالِ مُتَوَزِّعَةً فِرَقًا، وهَذا تَشْبِيهٌ مُرَكَّبٌ لِأنَّهُ تَشْبِيهٌ في هَيْئَةِ الحَجْمِ مَعَ لَوْنِهِ مَعَ حَرَكَتِهِ. والصُّفْرَةُ: لَوْنُ الشَّرَرِ إذا ابْتَعَدَ عَنْ لَهِيبِ نارِهِ. وقرئ (جمالةٌ) و (جِمالات) للجمهور . والفقهُ هنا التفكر في هول النار وخطرها ، وكيفية توقي تلك النهاية المحتومة ، والمنظر الصعب الكئيب ، وقد كان صلّى اللهُ عليه وسلم يستعيذ كثيرًا من جهنم وعلم صحابته دعاءً دبر كل صلاة ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "

إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ ". **والله الموفق.**

١٣/ وهو شديدُ المحال..!

▪ تبارك الله ، ما أعظمَ ملكَه ، وما أعزَّ سلطانَه ، لا يعجزه شيء ، ولا يحجبه حاجب، قهر الخلائق ، وأذلَ الجبابرة ، ومكر بالماكرين ، ودمر المجرمين .. كما قال: (وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ) أي: شديد الحول والقوة، وعظيم الأخذ والغلبة ، فلا يريد شيئا إلا فعله، ولا يتعاصى عليه شيء ولا يفوته هارب، أو تخفى عليه خافية ...(وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾ [الرعد ١٣]. فإذا كان هو وحده سبحانه ، الذي يسوق للعباد الأمطار والسحب ، التي فيها مادة أرزاقهم، وهو الذي يدبر الأمور،

وتخضع له المخلوقات العظام التي يخاف منها، وتزعج العباد وهو شديد القوة - فهو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له.

- وقيل : شَدِيدُ الْأَخْذِ. وَقَالَ بعضُهم : شَدِيدُ الْقُوَّةِ، وَهِيَ شَبِيهَةٌ بِقَوْلِهِ تعالى : ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النَّمْلِ: ٥٠، ٥١] . وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: "الْمِحَالِ" أَيِ الْقُوَّةُ وَالشِّدَّةُ. وَالْمَحْلُ: الشِّدَّةُ، الْمِيمُ أَصْلِيَّةٌ، وما حلت فُلَانًا مِحَالًا أَيْ قَاوَيْتُهُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ أَيُّنَا أَشَدُّ .

- فمن يجرؤ أن ينازع الله في ملكه، أو يحاربه في دينه وأوليائه ، وقد أغرقَ فرعون وقومه، وأهلك قوم نوح، وزلزل على

ثمود، ونكَس بقوم عاد بالريح العقيم، وقلب ديار قوم لوط، وخسف بقارون وثروته الأرض ، وما كانوا منتصرين، كما قال سبحانه :(فلما آسفونا انتقمنا منهم) سورة الزخرف .

١٤/ تلك إذًا قسمةٌ ضيزى..!

- لما ذكر تعالى آلهةَ المشركين وذمّهم بها، (ٱللَّـٰتَ وَٱلعُـزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلأُخرَىٰ): سورة النجم . أَيْ أَفَرَأَيْتُمْ هَذِهِ الْآلِهَةَ ، هَلْ نَفَعَتْ أَوْ ضَرَّتْ حتى تَكُونَ شُرَكَاءَ لِلَّهِ. ثُمَّ قَالَ عَلَى جِهَةِ التَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ: (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثى) رَدًّا عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللهِ، وَالْأَصْنَامُ بَنَاتُ اللهِ. عقب عليها بقوله المتعجب : (تلك إذًا قسمة ضِيزَى) يَعْنِي هَذِهِ الْقِسْمَةُ (قِسْمَةٌ ضِيزى) أَيْ جَائِرَةٌ عَنِ الْعَدْلِ، خَارِجَةٌ عَنِ الصَّوَابِ، مَائِلَةٌ عَنِ الْحَقِّ. يُقَالُ: ضَازَ فِي الْحُكْمِ أَيْ جَارَ، وَضَازَ حَقَّهُ يَضِيزُهُ ضَيْزًا- عَنِ الْأَخْفَشِ- أَيْ نَقَصَهُ وَبَخَسَهُ.

قَالَ: وَقَدْ يُهْمَزُ فَيُقَالُ ضَأَزَهُ يَضْأَزُهُ ضَأْزًا وَأَنْشَدَ: فَإِنْ تَنْأَ عَنَّا

نَنْتَقِصْكَ وَإِنْ تُقِمْ ... فَقِسْمُكَ مَضْئُوزٌ وَأَنْفُكَ رَاغِمُ ..!

- وكيف لعاقلٍ أن يساوي تلك الآلهة المزعومة بالله تعالى في ملكوته وقدرته.. أو يزعم سخفا أنها بنات الله... فبينَ لهم أنها أسماء ادعيتموها انتم ، على جمادات لا قيمة لها .. :

﴿إنْ هِيَ﴾ يَعْنِي الأَوْثانَ ﴿إلا أَسْماءٌ﴾ والمَعْنى: إنَّ هَذِهِ الأَوْثانَ الَّتِي سَمَّوْها بِهَذِهِ الأسامِي لا مَعْنًى تَحْتَها، لِأنَّها لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ، فَهي تَسْمِياتٌ أُلْقِيَتْ عَلى جَماداتٍ، ﴿ما أنْزَلَ اللَّهُ بِها مِن سُلْطانٍ﴾ أيْ: لَمْ يُنْزِلْ كِتابًا فِيهِ حُجَّةٌ او دليل بها .

ثُمَّ رَجَعَ إلى الإخْبارِ وبيان حقيقة علمهم ودعواهم : ﴿إنْ

يَتَّبِعُونَ﴾ في أَنَّها آلِهَةٌ، ﴿إلا الظَّنَّ وما تَهْوى الأَنْفُسُ﴾ وهو ما زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ، وأغرى به من ضلالاته ..!

- فمن الضيزى هنا والميَلان، اعتقادُ نفع تلك الآلهة ، أو قربُها من الواحد الأحد ، أو دعوى كونها بنات الله، أو أن لها قوة وتأثيرًا.. ومحاولة اشتقاقها من أسماء الله الحسنى ، وتعلقهم بظنون فارغة، ليس لهم فيها علم صحيح ، ولا كتاب منير .. ومن الضيزى أيضًا ظلمهم لأنفسهم بتلك الافتراءات ، واعتقاد أنهم على طريق سوي، أو منهج رضيّ، ونأيهم عن العلم الحقيقي ، والوحي الرباني ، وتكذيبهم رسولهم الحق ، وركونهم لتلك الأصنام المزعومة ، والله المستعان . ولذلك إذا جد الجد، وحمي الوطيس عليهم نبذوها وعادوا للإله

الحق ، وقد جاء في الحديث : عَـنْ عِمْـرَانَ بْـنِ حُصَـيْنٍ قَـالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي : " يَا حُصَـيْنُ، كَـمْ تَعْبُـدُ الْيَوْمَ إِلَهًا " قَالَ أَبِي : سَبْعَةً ؛ سِـتَّةً فِـي الْأَرْضِ، وَوَاحِـدًا فِـي السَّمَاءِ. قَالَ : " فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِـكَ وَرَهْبَتِـكَ". قَـالَ : الَّـذِي فِي السَّمَاءِ. قَالَ : "يَا حُصَيْنُ، أَمَـا إِنَّـكَ لَـوْ أَسْـلَمْتَ علمتك كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ ". قَالَ : فَلَمَّا أَسْلَمَ حُصَيْنٌ، قَالَ : يَا رَسُـولَ اللهِ، عَلِّمْنِيَ الْكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَـدْتَنِي، فَقَـالَ : " قُـلِ : اللَّهُـمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي ". والله الموفق .

١٥/ مُدْهامّتان..!

- هل رأيتَ مرةً الحدائقَ المخضرة المائلة إلى السواد من شدة الاخضرار ، وكيف جمالها، وحسن منظرها ، وقد وصفَ المولى تعالى بعضَ نعيم الجنة، مع البون الشاسع بين النعيمين ، فقال سبحانه : ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ٦٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦٣ مُدهَامَّتَانِ﴾ ٦٤ . سورة الرحمن .

أي مسودتان من شدة الخضرة . والمعنى : من دون تينك الجنتين الموصوفتين بالصفات المتقدمة، جنتان أخريان لمن دون أصحاب الجنتين السابقتين من أهل الجنة، وتفسير من دونهما: أي أمامهما، ومن قبلهما أي هما أقرب منهما وأدنى إلى العرش فهما أفضل من الأوليين، وقيل: دونهما في

الدرَج، وقيل: بالفضل وقيل الجنتان الأوليان جنة عدن وجنة النعيم، والأخريان جنة الفردوس وجنة المأوى،..! نسأل الله من فضله .

- ونعتهما بالدُّهمة (مدهامتان) أي من خضرتهما قد اسودتا من الري: وكل ما علاه السواد ريًا فهو مدهم عند العرب، قال مجاهد: مسودتان، والدُّهمة في اللغة السواد، يقال: فرس أدهم وبعير أدهم إذا اشتدت ورقته حتى ذهب البياض الذي فيه، وناقة دهماء وادهام أدهيمامًا أي اسواد . وسميت "قرى العراق سواداً " لكثرة خُضرتها، والشاة الدهماء: الحمراء الخالصة الحمرة، ويقال للقيد: أدهم، وفي المختار: دهمهم الأمر غشيهم،..!

- ثم وصف تلك الجنتين الخضراوين (فِيهِمَا عَينَانِ نَضَّاخَتَانِ) أي فوارتان بالماء ، والنضخُ فوران الماء من العين، والمعنى أن في الجنتين المذكورتين عينين فوارتين، قال أهل اللغة: والنضخ بالخاء المعجمة أكثر من النضح بالحاء المهملة، لأن بالحاء الرش، وبالخاء المعجمة فوران الماء، وقيل: بالخير والبركة على أهل الجنة . والسلام .

١٦/ تسقى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ..!

- لا يستطيعُ أحدنا بلع الطعام ولا الشراب اذا كان ساخنًا ، وعليك الانتظار قليلا، فكيف بشراب وضع هكذا ساخنا بشعًا، ولا فتور له ...! وفي القيامة لأهل النار عيشهم وطعامهم وشرابهم المعروف فيها، وقد جلى القرآن أكثر ذلك، فقال في صفة الماء ..(تَصلَىٰ نَارًا حَامِيَةً. تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ): أي متناهية في الحر، والآني الذي قد انتهى حرُّه من الإيناء بمعنى التأخر، يقال آناه يؤنيه إيناء أي أخره وحبسه، كما في قوله (يطوفون بينها وبين حميم آن) قيل: لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت، قال ابن عباس :

هي التي قد طال أينُها وقال أيضـًا : قد أنَى غليانُها، وعنه قـال انتهى حرُّها.

- ولما ذكر سبحانه شـرابَهم عقّبـه بـذكر طعـامهم فقـال (لَّـيسَ لَهُم طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَـرِيع)[الغاشـية : ٦] (لـيس لهـم طعـام إلا من ضريع) هو نوع من الشوك لا ترعاه دابـة لخبثـه ، يقـال لـه الشبرق في لسان قريش إذا كان رطبـًا ، فإذا يبس فهو الضريع، هذا هو المشهور . وقيـل وهـو سـم قاتـل، وإذا يـبس لا تقربـه دابة ولا ترعاه، ...! ثم وصفه (لا يسمن ولا يغني من جوع) أي لا يسمن الضريع آكلـه ولا يـدفع عنـه مـا بـه مـن الجـوع ، يعني هما منفعتا الغذاء وكلاهما منتفيان عنه.

- ومن غريب السورة أيضًا : وصفه لجنة المؤمنين العالية .. (ونمارق مصفوفة) وهي الوسائد قال الواحدي في قول الجميع، واحدتها نُمرقة بضم النون وزاد الفراء سماعًا عن العرب نمرقة بكسرها وهما لغتان أشهرهما الأولى، وسائد مصفوفة بعضها إلى بعض، ومنه قول الشاعر: كهول وشبان حسان وجوههم ... على سرر مصفوفة ونمارقِ...!
- ومنها : (وزرابي مبثوثة) يعني البسط العراض الفاخرة ، واحدها زربى وزربية قال أبو عبيدة والفراء الزرابي : الطنافس التي لها خملٌ رقيق ، واحدها زربية . وَمَعْنَى مَبْثُوثَةٍ، أَيْ: هَاهُنَا وَهَاهُنَا لِمَنْ أَرَادَ الْجُلُوسَ عَلَيْهَا. نسأل الله من فضله ، اللهم بلغنا تقاك، واجعل عملنا في رضاك .

١٧/فسوف يدعو ثبوراً..!

▪ قد يكون المشهدُ فظيعًا إذا شاهدنا من يدعو على نفسه بالهلاك والثبور في الدنيا، ونرثي لحاله ..! فكيف بلحظات القيامة الخانقة، وساعات الرعب الشديدة..؟! والتي رعبها فوق كل رعب، وصخبها لا يكاد يوصف ذلةً وهوانًا..! قال تعالى:(وَأَمَّا مَن أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَاءَ ظَهرِهِۦ فَسَوفَ يَدعُوا ثُبُورا وَيَصلَىٰ سَعِيرًا). ومعنى قوله :(فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُوراً) أَيْ بِالْهَلَاكِ فَيَقُولُ: يَا وَيْلَاهُ، يَا ثُبُورَاهُ. ونظيره في الفرقان (دعَوا هنالكَ اليوم ثبورا): وقال ابن عباس: ثبوراً، أي ويلاً. وقيل ثبرنا ثبوراً، والمعنى: أنهم يتمنون هنالك الهلاك، وينادونه

لما حل بهم من البلاء، ويقولون يـا ثبـوراه. أي إحضـر، فهـذا أوانك، لكنهم لا يهلكون.

- ثم قال تعالى عنه:(وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق ١٢] : أي يدخلها ويقاسي حر نارها وشدتها، إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا [الانشقاق ١٣] (إنـه كـان في أهلـه) أي عشـيرته في الـدنيا (مسروراً) باتباع هواه وركون شهوته بطراً أشراً لعـدم خطـور الآخـر ببالـه أي كـان لنفسـه متابعـاً، وفي مراتـع هـواه راتعـاً، والجملة تعليل لما قبله، ...!

- (إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق ١٤] أي علـمَ وتـيقن (أن لـن يحـور) تعليـل لكونـه كـان في الـدنيا بـين أهلـه مسـروراً والمعنى أن سبب ذلك السرور ظنه بأنـه لا يرجـع إلـى الله ولا

يبعث للحساب والعقاب لتكذيبه بالبعث وجحده لدار الآخرة ، والحور في اللغة الرجوع يقال حار يحور إذا رجع وقال الراغب الحور التردد في الأمر، ومحاورة الكلام مراجعته والمحار المرجع والمصير.

- وفي السورة أيضًا: (فَلَا أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ۝ [الانشقاق ١٦] . قسمٌ بالشفق المحمر الذي هو بقية نور الشمس، الذي هو مفتتح الليل. (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) أي: ما احتوى عليه من حيوانات وغيرها. (وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ) أي: امتلأ نورًا بإبداره، وذلك أحسن ما يكون وأكثر منافع، وَيُقَالُ: أَمْرُ فُلَانٍ مُتَّسِقٌ: أَيْ مُجْتَمِعٌ عَلَى الصَّلَاحِ مُنْتَظِمٌ. وَيُقَالُ: اتَّسَقَ الشَّيْءُ: إِذَا تَتَابَعَ .(لتركبنّ طبقًا عن طبق) : قيل المعنى : لتركبنَ حالاً

بعد حال كل حالة منها مطابقة لأختها في الشدة، وقيل المعنى لتركبن أيها الإنسان حالاً بعد حال ، من كونك نطفةً ثم علقةً ثم مضغة ثم حيًا وميتًا ،وغنيًا وفقيراً، فالخطاب للإنسان المذكور في قوله (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحًا). أحسنَ اللهُ ختامنا ورحمنا برحمته، إنه جواد كريم..!

١٨/ قد جعل ربكِ تحتكِ سريًا..!

- من نساءِ المؤمنات المباركات خبرُها في القرآن معطَّر ، وفي السنة مضمخٌ بالرياحيين والزهور (واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانًا شرقيا). وفي قصة حملها وحزنها ومعاناتها، لما طرقها المخاض عند جذع الشجرة ، امتن الله عليها بالرزق والتأييد (فَنَادَىٰهَا مِن تَحتِهَا أَلَّا تَحزَنِي قَد جَعَلَ رَبُّكِ تَحتَكِ سَرِيّا﴾ [مريم ٢٤]. فما هو السري، يتلوها المشايخ والأئمة ولا يعيها أكثرنا..!! والمعنى: ناداها الملك جبريل عليه السلام بهذه البشرى . قال جمهورُ المفسرين: السَّرِيُّ النهر الصغير لأن الماء يسري فيه، والسري.

الجدول؛ والجمع سِـرْيَان والسـرِي الـرئيس، والجمـع سُـرَاة وهو عزيز لا يكاد يوجد له نظير،..!

- وفائدةُ ذلك تسْـكينٌ لروعهـا، وتثبيـتٌ لقلبهـا، ودواءٌ لحزنهـا وتعبهـا ، وهـي مـن رحمـة الله بعبـاده الصـالحين ، حيـث يحـوطهم بفضـله، ويكلـؤهم برعايتـه ، وهـي لمـا صـدقت ، وتبتلـت ، وتعففـت لله، صـانها وفـتح عليهـا مـن رزقـه، وقـد كانت تأتيها فاكهةُ الشتاء في الصيف والعكس كذلك ..! وإذا سئلت قالت:﴿ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران ٣٧] .
- وفي السـورة أيضًـا كلمـةُ "فـريّ " وهـي الشـيء العظـيم ، ونسمعها :﴿ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ

شَيئًا فَرِيّا﴾ [مريم ٢٧] . وقال مجاهد: الْفَرِيُّ العظيم أي من الأمر يقال في الخير والشر. الْفَرِيُّ المختلق المفتعل، ..!

وفِي السورة (لقد جئتم شيئًا إدًّا) أي الشيء العظيم كالسابقة . وفيه رد لهذه المقالة الشنعاء في زعم الولد للواحد الأحد سبحانه ، والإد كما قال الجوهري: الداهية والأمر الفظيع، وكذلك الإدة، وجمع الإِدّة إدَد؛ يقال أدت فلانًا الداهية تَؤُدُّه بالضم، وتئده بالكسرِ وَتأده بالفتح إذا دهته .

والله تعالى أعلم. وهنا نتعلم ونتفقه في قرآننا ولغتنا العربية ،

والحمدُ للهِ رب العالمين .

١٩/ فإن له معيشةً ضنكًا..!

- نسمعُ بها وقد نفهمُ أنها معنى مستبشعٌ في العيش ونكيد، حينما ذكر الله تعالى المعرض عن آياته، قال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه ١٢٤] . أي عيشًا ضيقًا في هذه الحياة الدنيا؛ يقال منزل ضنك وعيشٌ ضنك أي ضيّق، في القاموس : الضنك الضيق في كل شيء، يقال ضَنُك ضَنْكًا وَضَنَاكة وضُنوكة ضاق. وهو مصدر يستوي فيه الواحد وما فوقه والمذكر والمؤنث، وقرئ بضم الضاد على فُعلى. ومعنى الآية : أن اللهَ عز وجل جعل لمن اتبع هداه، وتمسك بدينه ، أن يعيش في الدنيا عيشًا هنيئًا غير مهموم ولا مغموم ولا متعب نفسه، كما قال

سبحانه (فلنحيينه حياةً طيبة) وجعل لمن لم يتبع هداه وأعرض عن دينه، أن يعيش عيشًا، ضيقًا، وفي تعبٍ ونصب، ومع ما يصيبه في هذه الدنيا من المتاعب فهو في الآخرة، أشد تعبًا وأعظم ضيقًا ، وأكثر نصبًا. كما أفاده الشيخ صديق خان رحمه الله في (فتح البيان).

- وتتجلى لنا صورة هذه الآيةُ المحققة في أصناف من البشر عن ذكر ربهم معرضين ، وفي الصلاة غافلين ، وعن المواعظ مستكبرين، فتشاهدهم قد تكدرت وجوههم ، وساءت أعمالهم ، وتنكرت لهم الحياة من كل حدب وصوب، وحرموا سعادتها، وذاقوا شقاءها..! ولم تغن عنهم ثرواتٌ مجموعة ، ولا كنوز مذخورة...!!

- ولا يمكن لمن ضاق دينًا أن يتسع دنيا، ولا من سخر ذكرا، أن يُفسح له نورًا وصفاء ، بل ستضيق عليه دنياه الخادعة ، وثروته الباذخة ، وجاهه الرفيع..(جزاء وفاقًا) سورة النبأ . وعلى كل من عاينَ تلكم الآيات أن يراجعَ نفسَه، ويتقي ربَّه، ويبادر حياتَه، ويعالج حاله، ويعلم أن الأمرَ لله، بيده العزُّ والذل ، والنورُ والظلمة ، والسعادة والشقاوة ، ولن تستطيعَ أموالُه دفعَ ذلك الشقاء المكتوب ، أو الضنكِ المحتوم ، فهي هاهنا قاعدة، لكلِّ معرضٍ شقاوة، وحالةٌ ضنك..!
- ثم قال سبحانه مبينًا نهايته المصيرية البئيسة :(ونحشره) أي المعرض عن القرآن (يوم القيامة أعمى) أي مسلوب البصر، وهو كقوله: (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميًا)

وقيل المراد العمى عن الحجة، وقيل أعمى عن جهات الخير لا يهتدي إلى شيء منها. وقال عكرمة رحمه الله : عمي عليه كل شيء إلا جهنم. وفي لفظ: لا يبصر إلا النار...! **عافانا الله وإياكم..!**

٢٠/كانتا رتقاً ففتقناهما..!

- ما أجملَ السمواتِ والأرض في خلقهما ، فهما من آيات الدالة على قدرته ووحدانيته، في شكلهما ومنظرهما ، وما يخرج منهما ، فقد كانت رتقًا ففتقها الله، أي كَانَتَا شَيْئًا وَاحِدًا مُلْتَزِقَتَيْنِ ..... فهلا ينظر هؤلاء الذين كفروا بربهم، وجحدوا ربوبيته، ما يدلهم دلالة مشاهدة، على أنه الرب المعبود الكريم المستحق للعبادة، فيشاهدون السماء والأرض فيجدونهما رتقا، هذه ليس فيها سحابٌ ولا مطر، وهذه هامدة ميتة، لا نبات فيها، ففتقناهما: السماءُ بالمطر، والأرض بالنبات، أليس الذي أوجد في السماء السحاب، بعد أن كان الجو صافيا لا قزَعةَ فيه، وأودع فيه الماء الغزير، ثم

ساقه إلى بلد ميت؛ قد اغبر وقحط ، فأمطره فيها، فاهتزت، وتحركت، وأنبتت من كل زوج بهيج، أليس ذلك دليلا على أنه الحق، وما سواه باطل، وأنه محيي الموتى، وأنه الرحمن الرحيم ولهذا قال: ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ... ﴿أَوَلَم يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ ٱلسَّمَوَٰتِ وَٱلأَرضَ كَانَتَا رَتقا فَفَتَقنَٰهُمَا وَجَعَلنَا مِنَ ٱلمَاءِ كُلَّ شَيءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤمِنُونَ﴾ [الأنبياء ٣٠] .

- وقيل : فصلُهما بعد الاتصال، فصارت كلٌّ على حدة. وقيل: كانَتِ السَّماواتُ رَتْقًا في حَدِّ ذاتِها وكانَتِ الأرْضُ رَتْقًا في حَدِّ ذاتِها، ثُمَّ فَتَقَ اللهُ السَّماواتِ سبعًا وفَتَقَ الأرْضَ سبعًا ، وهَذا كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿قُلْ أئِنَّكم لتَكْفُرُونَ

بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدادًا ذَلِكَ رَبُّ العالَمِينَ﴾ [فصلت: ٩] . إلى آخر الآيات.

- وذُكرت تفاسيرُ أخرى في الرتق والفتق .. قال الشيخُ ابن عاشور رحمه الله: "والظّاهِرُ أنَّ الآيَةَ تَشْمَلُ جَمِيعَ ما يَتَحَقَّقُ فِيهِ مَعانِي الرَّتْقِ والفَتْقِ؛ إذْ لا مانِعَ مِن اعْتِبارِ مَعْنًى عامٍّ يَجْمَعُها جَمِيعًا، فَتَكُونُ الآيَةُ قَدِ اشْتَمَلَتْ عَلى عِبْرَةٍ تَعُمُّ كُلَّ النّاسِ وعَلى عِبْرَةٍ خاصَّةٍ بِأهْلِ النَّظَرِ والعِلْمِ، فَتَكُونُ مِن مُعْجِزاتِ القُرْآنِ العِلْمِيَّةِ الَّتِي أشَرْنا إلَيْها فِي مُقَدِّماتِ هَذا التَّفْسِيرِ". والله الموفق .

٢١/ قَالُوا نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ..!

▪ يلحظ أنه كان شيئًا نفيسًا وغاليًا ، وعادة الملوك والوجهاء أن لا يملكوا إلا ما كان نفيسًا، ولا يفتقدوا إلا ما طمعت فيه النفوس...! ولذلك وقعت مشكلةٌ بفقده في قصة يوسف عليه السلام..! ومن يتجرأ أن يؤذي العظماء في حوائجهم... قال تعالى :﴿ قَالُوا نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ﴾ [يوسف ٧٢] . قيل : الصواع : الصاع بعينه وهو يذكر ويؤنث وهو السقاية، وقال ابن عباس: كل شيء شربتَ منه فهو صواع، وقيل الصواع الذي يكال به وجمعه ، أصوع والصواع لغة فيه وجمعه صيعان وفيه قراءات كثيرة وهي ثمانية كلها لغات في هذا الحرف، والمراد

هنا آلة الكيل سماها تارة كذا وتارة كذا وإنما اتخذ هذا الإناء مكيالاً لعزة ما يكال به في ذلك الوقت.

- وقيل: هَذا مِنَ الكَيْدِ الَّذِي يَسَّرَهُ اللهُ لِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَلامُ حتى يأخذ أخاه في كنفهِ ورعايته، وذَلِكَ أَنَّهُ كانَ فِي دِينِ يَعْقُوبَ أنْ يُسْتَعْبَدَ السارِقُ، وكانَ فِي دَيْنِ مِصْرَ أنْ يُضْرَبَ ويُضَعَّفَ عَلَيْهِ الغُرْمُ، فَعَلِمَ يُوسُفُ أنَّ إخْوَتَهُ -لِثِقَتِهِمْ بِبَراءَةِ ساحَتِهِمْ- سَيَدْعُونَ فِي السَرِقَةِ إلى حُكْمِهِمْ، فَتَحَيَّلَ لِذَلِكَ، واسْتَسْهَلَ الأمْرَ عَلى ما فِيهِ مِن رَمْيِ أبْرِياءَ بِالسَرِقَةِ وإدْخالِ الهَمِّ عَلى يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَلامُ وعَلَيْهِمْ، لِما عَلِمَ فِي ذَلِكَ مِنَ الصَلاحِ فِي الأجَلِ، كما قال تَعالى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧٦].

- ومن غريـب السـورة العجيـب ، ويخطـئ كثيـرون فيهـا :(إنـه ربي أحسن مثواي) (أما أحدكما فيسقي ربه خمرًا). (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ) . والمرادُ بها : المالك والسيد من البشر، إلا الآية الأولى فهي محتملة في قول يوسف عند المراودة (إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون). فيحتمل سيده صاحب القصر ، أي سيدي الذي رباني العزيز (أحسن مثواي) حيث أمرها بقوله أكرمي مثواه، فكيف أخونه في أهله ، وأجيبك إلى ما تريدين من ذلك ، ويحتمل ربه خالقه تعالى، المحسن عليه ، وقال قوم : إن الضمير لله سبحانه أي

إن الله ربي تولاني بلطفه فلا أركب ما حرمه، والأقرب الأول، والله تعالى أعلم.

- ومن غريبها أيضا لفظة (حصحص) حينما (قالت امرأة العزيز) منزهةً لجانبه ، مقرةً على نفسه بالمراودة له (الآن حصحص الحق) أي تبين وظهر بعد خفائه ، وأصله حص فقيل حصحص كما قيل في كبوا كبكبوا قاله الزجاج، وأصلُ الحص : استئصالُ الشيء يقال حص شعره إذا استأصله والمعنى : أنه انقطع الحق عن الباطل بظهوره وبيانه، وقيل هو مشتق من الحصة والمعنى بانت حصة الباطل.وقال الخليل الفراهيدي رحمه : معناه ظهر الحق بعد خفائه، وعن ابن عباس البحر رضي الله عنه : تبين،...! والله الموفق .

٢٢/وَنَخِيل صِنوَان وَغَيرُ صِنوَان..!

- حينما تشاهدُ قدرةَ الله في النباتات والأراضي الزراعية تندهشُ من جمال الخلق والمنظر والطعم والرائحة ، فتوقن أنّ وراءها خالقًا عظيمًا ، وصانعًا بديعًا تبارك وتعالى، يقول عز وجل : ﴿ وَفِى ٱلأَرضِ قِطَع مُّتَجَٰوِرَٰت وَجَنَّٰت مِّن أَعنَٰب وَزَرع وَنَخِيل صِنوَان وَغَيرُ صِنوَان يُسقَىٰ بِمَاء وَٰحِد وَنُفَضِّلُ بَعضَهَا عَلَىٰ بَعض فِى ٱلأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰت لِّقَوم يَعقِلُونَ﴾ [الرعد ٤]. والمعنى: أي أراضٍ متجاورات متدانيات ، ترابها واحد وماؤها واحد وفيها زرع وجنات ثم تتفاوت في الثمار فيكون البعض حلواً والبعض حامضًا، والبعض طيبًا والبعض غير طيب

...! وقال أبو عبيدة : جمع صنو، وهو أن يكون الأصل واحداً ثم يتفرع فيصير نخيلاً ثم يحمل. وهذا قول جميع أهل اللغة والتفسير، فالصنوان جمع صنو وهي النخلات يجمعها أصل واحد وتتشعب فروعها،..! فهل مرَّ عليك مثل ذلك، وسبحت الله ومجدته تبارك وتعالى..(إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ).

- أي الذين يَعْمَلُونَ عَلى إيقاظ عُقُولِهِمْ فَإنَّ مَن عَقَلَ هاتِيكِ الأَحْوالَ العَجِيبَةَ وخُرُوجَ الثِّمارِ المُخْتَلِفَةِ في الأَشْكالِ والأَلْوانِ والطَّعُومِ والرَّوائِحِ في تِلْكَ القِطَعِ المُتَبايِنَةِ المُتَلاصِقَةِ ، مَعَ اتِّخاذِ ما تُسْقى بِهِ بَلْ وسائِرُ أَسْبابِ نُمُوِّها لا يَتَلَعْثَمُ في الجَزْمِ بِأنَّ لِذَلِكَ صانِعًا حَكِيمًا قادِرًا مُدَبِّرًا لَها لا

يُعْجِزُهُ شَيْءٌ ..! وقِيلَ: المُرادُ أنَّ مَن عَقَلَ ذَلِكَ لا يَتَوَقَّفُ في الجَزْمِ بِأنَّ مَن قَدَرَ عَلى إبْداعِ ما ذُكِرَ قادِرٌ عَلى إعادَةِ ما أبْداهُ بَلْ هي أهْوَنُ في القِياسِ سبحانه وتعالى . ولبعضهم رجزاً :

والأرْضُ فِيهـا عِبْـرَةٌ لِلْمُعْتَبِـرْ ** تُخْبِرُ عَنْ صُنْعِ مَلِيكٍ مُقْتَدِرِ

تُسْـقى بِمـاءٍ واحِـدٍ أشْـجارُها ** وبُقْعَـــةٌ واحِـــدَةٌ قَرارُهـــا

والشَّمْسُ والهَواءُ لَيْسَ يَخْتَلِف ** وأكْلُهـا مُخْتَلِـفٌ لا يـأتلفْ

- ومن لم يعِ ذلك ويحمله على الإيمان والتوحيد ، كأنه ما انتفع بعقله، وينزلُ منزلة من لا يعقل ولا يفهم ، وفي ذلك تشريف للعقل ولصاحبه ، وضرورة أن يستثمره الإنسان في العلمِ وبدائع صنعِ الله في ملكوت السموات والأرض ، والله الموفق ..!

٢٣/ مِن صَلصَل مِّن حَمَإٍ مَّسنُون..!

- هل تأملتم ذلكَ الوصفَ العجيب لخلق الإنسان ، وتفكرنا في حقيقة الصلصال والحمأ المسنون .. قال عز وجل : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ) [الحجر ٢٦]. والإنسانُ هنا هو أبونا آدم عليه السلام .. قال أبو عبيدة رحمه الله : هو الطينُ المخلوط بالرمل الذي يتصلصل إذا حرك، فإذا طُبخ بالنار فهو الفخار، وهذا قول أكثر المفسرين وقال الكسائي رحمه الله: هو الطين المنتن مأخوذ من قول العرب صل اللحم، وأصل إذا أنتن مطبوخـًا كان أو نيئـًا. وهذا الطور آخر أطوار آدم الطينية. وأول ابتدائه أنه كان ترابـًا متفرق الأجزاء ثم صار طينـًا، ثم أنتن وأسود ، فصار حمأً

مسنونًا أي متغيراً ، ثم يبس فصار صلصالاً، وعلى هذه الأطوار والأحوال تتخرج الآيات الواردة في أطواره الطينية كآية خلقه من تراب وآية بشراً من طين، وهذه الآية التي نحن فيها. و(حمأ مسنون) الحمأ: الطينُ الأسود المتغير أو الطين الأسود من غير تقييد بالمتغير.

- وفي ذلكَ تتجلى قدرةُ الله وعظمته في الخلق سبحانه وتعالى .

فهكذا كان خلقُ أبينا آدم عليه السلام، ثم كانت من ذريته من ماء مهين كما عز وجل في صفة الخلقين : ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ

أَحسَنُ ٱلخَـٰلِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُم بَعدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُم يَومَ ٱلقِيَـٰمَةِ تُبعَثُونَ) [المؤمنون ١٢-١٦] .

- ثم ذكر تعالى بعد خلق الإنسان.. الجنّ فقال : ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أَيْ: مِنْ قَبْلِ الْإِنْسَانِ ﴿مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هِيَ السَّمُومُ الَّتِي تَقْتُلُ. وَقَالَ بَعْضُهُمُ: السَّمُومُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: السَّمُومُ بِاللَّيْلِ، وَالْحَرُورُ بِالنَّهَارِ. واللهُ تعالى أعلم وأحكم.

٢٤/ ٱلَّذِنَ جَعَلُوا القرآن عضين..!

- القـرآنُ كـلام الله ووحيـه إلـى رسـوله الكـريم ، طـاب لفظا ومعنـى، وكمُـل أسـلوبًا وجُمـلاً ، ولا يمكـن لعاقـل وعـاه وأدرك سره ، أن يصفه بأوصاف المفترين القائلين بالسـحر والكهانـة، ولـذلك وبخهـم الله بقولـه :(كَمَـا أَنزَلنَـا عَلَـى ٱلمُقتَسِمِينَ . ٱلَّذِينَ جَعَلُوا ٱلقُرءَانَ عِضِينَ) [الحجر : ٩١] وعِضينَ جمع عِضَة ، وأصلها عضوة فعلة من عضى الشـاة إذا جعلها أعضاء وأجزاء ، فيكون المعنى على هذا: الذين جعلوه أجزاء متفرقة ، بعضه شعر وبعضـه سـحر ، وبعضـه كهانـة ونحـو ذلـك، وقيـل : مـأخوذ مـن عضـهته إذا بهتـه ، فالمحـذوف منـه الهـاء لا الـواو، وجمعـت العضـة علـى

المعنيين جمع العقلاء، وقيل معنى عضين إيمانهم ببعض الكتاب وكفرهم ببعض، كما صنع أهل الكتاب. وقيل العِضةُ والعضين في لغة قريش : السحر وهم يقولون للساحر عاضه وللساحرة عاضهة.

- وكيف تستقيمُ عقولٌ تصف القرآنَ بتلكم الأوصاف القاضية بالتنوع والتفريق ، مع أنه كلام من مصدرٍ واحد، وقد قال سبحانه:(إن هو إلا وحي يوحى) سورة النجم .
- وفي القيامة يحاسبون على هذا التخريف...(فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ) [الحجر ٩٢-٩٣] .

فكلُّ قادح وذام بنوع من هذه الأصناف ، التي تنبئ عن جهله وهذيانه ، وقد عاين فضله، وشاهد إعجازه ، -لا سيما وهم

عرب خلّص - سيحضر هو وترهاته ، ولكنهم للأسف اتبعوا أهواءهم ، وطاوعوا عاداتهم وتقاليدهم ، فزعموا ما زعموه تجاه الكتاب العزيز ، والذكرِ الحكيم ، الذي تنزه عن الباطل، وسما عن الإفك، وترفع عن كل شائبة وملحظ ، فقد أُحكمت آياتُه ، واكتملت بيناتُه وحججه، تنزيل من حكيمٍ حميد ...! نسأل الله بلوغ شرفه، ونيل فهمه والعمل به..!

والسلام .

٢٥/ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ..!

- مـن آيـاتِ الله تعـالى تسـخيرُ هـذه البحـار ، وسـيرُ الفلـك والسفن فيها، وشقُّها لتلكم الأمواج المخيفة ، دونما غـرق أو خوف في الغالـب .. كما قال سبحانه : ﴿ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل ١٤] .والمعنـى: أي تـرى السـفن شـواقَ للمـاء تدفعـه بصـدورها، قـال عكرمـة ومخـر السـفينة : شـقّها المـاء بصـدرها، قـال الجـوهري: مخـر السـابح إذا شـق المـاء بصـدره ومخـر الأرضَ شـقها للزراعـة، وقيـل مـواخر : جواري قالـه ابـن عبـاس وأصـل المخـر الجـري. ، وقيـل تـذهب وتجـيء، قـال الضـحاك: السـفينتان تجريـان بـريح

واحـدة مقبلـة ومـدبرة، وقـال أبـو عبيـدة: صـوائح وقيـل مُلجّجة. (ولتبتغوا من فضله) أي لتنتفعـوا بـذلك ولتبتغـوا أو فعل ذلك لتبتغوا أي لتتجروا فيه فيحصل لكم الربح من فضل الله .

- وقـد نـتج عـن ذلـك انتفـاعُ النـاس تجـارةً واتصـالاً، وعلائـق وصناعات ، وباتت البحار مدنًا وجُـزرا للانتفـاع والسـيطرة ، والســلم والحــروب ، والســفر والاســتطلاع، وقضــاء الحوائج..! (ولعلكم تشكرون) : أي اعْتَرَفْتُمْ بِنِعْمَتِهِ عَلَيْكم فَشَكَرْتُمْ ذَلِكَ بِاللِّسانِ والأرْكانِ. قِيلَ ولَعَلَّ وجْهَ تَخْصِيصِ هَذِهِ النِّعْمَةِ بِالتَّعْقِيبِ بِالشُّكْرِ مِن حَيْثُ أنَّ فِيها قَطْعًا لِمَسافَةٍ طَوِيلَةٍ ، وما اشْتَمَلَ عَلَيْهِ البَحْرُ مَن كَوْنِ فِيهِ أطْيَبُ مَأْكُولٍ

وأَنْفَسُ مَلْبُوسٍ وكَثْرَةُ النِّعَمِ التي وصلت البلدانُ بعضها ببعض، وارتزاق كثيرين من جراء ذلك ،

- وتكررت هذه الآيةُ في فاطر، فهنا في " النحل " قال: (وترى الفلكَ مواخر فيه) وفي " فاطر " (وترى الفلك فيه مواخر). لأن آية (النحل) سيقت لتعداد النعم على الخلق امتنانًا ، وآية (فاطر) سيقت لبيان القدرة والحكمة، بِطَفْوِ الفُلْكِ عَلى الماءِ، فقدّم (مواخر) في (النحل) لأنه امتن عليهم بمخر السفن للماء، وفي (النحل) قدّم ذكر جريان الفلك في البحر؛ لأن ذلك من آيات قدرة الله .. والله الموفق .

٢٦/ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡ..!

▪ مننُ اللهِ تعالى على عباده لا تُحصى ، ونعمُه لا تُعد، فرحماتُه سابغة ، وخيراتُه نازلة تبارك وتعالى، وفي سياق النعم المذكورة في سورة النحل أيضا:يقول سبحانه : (وَجَعَلَ لَكُم سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُم كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعمَتَهُ عَلَيكُم لَعَلَّكُم تُسلِمُونَ) [النحل ٨١] . والسرابيل : جمع سربال وهي القمصان والثياب من الصوف والقطن والكتان وغيرها، قال الزجاج : كل ما لبسته فهو سربال (تقيكم الحر) أي تدفع عنكم ضرر الحر والبرد وهو ما عليه أكثر المفسرين من أنه من حذف المعطوف للعلم به. ونبه بعضهم :أن في الآية نكتة لطيفة لم ينبهوا عليها وهو أنه إنما اقتصر على

الحر لأنه أهم هنا لما عرف من غلبة الحر على ديار العرب ثم إن ما يقي الحر يحصل به برودة في الهواء في الجملة فوقاية الحر إنما هي لتحصيل البرد، وهذا فيه من اللطف ما هو ألطف من النسيم، فلِلَّه در التنزيل فكم فيه من أسرار لا تتناهى..!

- ونظيره (بيدك الخيرُ) : أي والشر ، لأن الخيرَ مطلوبُ العباد من ربهم دون الشر أو لتقدم وقاية البرد في قوله لكم فيها دفء. (وسرابيلَ تقيكم بأسَكم) وهي الدروع والزرد وسائر ما يلبس في الحرب من السلاح تتقون بها الطعن والضرب والرمي..!
- ثم ختمَ سبحانه هذه المنَّة : (كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكم لعلكم تسلمون) أيْ مِثْلُ ذَلِكَ الإتْمامِ البالِغِ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكم، فَإنَّهُ

سُبْحانَهُ قَدْ مَنَّ عَلى عِبادِهِ بصنوف النعم المذكورة هاهُنا وبِغَيْرِها، وهو بفضله وإحْسانِهِ سيتم لَهم نِعْمَةَ الدِّينِ والدنيا ﴿لَعَلَّكم تُسْلِمُونَ﴾ إرادَةَ أنْ تُسْلِمُوا، فَإنَّ مَن أمْعَنَ النَّظَرَ في هَذِهِ النعم لَمْ يَسَعْهُ إلّا الإسْلامُ والانقياد للحق، لأن حق هذه الخيرات إيمانٌ وانقياد، وطاعة وتسليم . ولهذا قال: (فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيكَ ٱلبَلَٰغُ ٱلمُبِينُ يَعرِفُونَ نِعمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكثَرُهُمُ ٱلكَٰفِرُونَ ٨٣) [النحل ٨٢-٨٣] . أي ﴿فَإنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الله وعن طاعته بعد ما ذُكِّروا بنعمه وآياته، ﴿فَإنَّما عَلَيْكَ البَلاغُ المُبِينُ﴾ أي: ليس عليك من هدايتهم وتوفيقهم شيء بل أنت مطالب بوعظهم وإنذارهم فقط ..

والله ولي التوفيق .

٢٧/فجاسُوا خلالَ الديار..!

▪ يُمهلُ الله لعبادهِ كثيرا ، ويمدُّ لهم في الزمان مداً ، فإذا ما استطال ظلمهم وزاد، أعذر إليهم ، وحضرت ساعتهم، ووقعت نهايتهم . ولذا لما ذكر سبحانه قضاءه في بني إسرائيل وأنه كتب عليهم ... كما قال في كتابه(وقضينا) أي وعهدنا إليهم وأخبرناهم في كتابهم ، أنهم لا بد أن يقع منهم إفساد في الأرض مرتين بعمل المعاصي والبطر لنعم الله والتكبر فيها ، وأنه إذا وقع واحدة منهما سلط الله عليهم الأعداء ، وانتقم منهم انتقامًا شديدا كما قال سبحانه : (فَإِذَا جَاءَ وَعدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثنَا عَلَيكُم عِبَادا لَّنَا أُولِى بَأس شَدِيد فَجَاسُوا خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعدا مَّفعُولا) [الإسراء ٥] . أَيْ:

سَلَّطْنَا عَلَيْكُمْ جُنْدًا مِنْ خَلْقِنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ، أَيْ: قُوَّةٍ وَعُدَّةٍ ، قيل هو بُخْتُنَصَّر وجنده ، أو جالوت وصحبه .

والمفردة هنا (جاسوا) وهي قليلة الذكر نادرة جدا .

(فجاسُوا خلال الديار) : أي عاثوا وترددوا ، يقال جاسوا وهاسوا وداسوا بمعنى واحد .! وقال الزجاج: معناه طافوا ، هل بقي أحد لم يقتلوه.

- وقال الجوهري: الجوسُ مصدر قولك :جاسوا خلال الديار أي تخللوها كما يجوس الرجل للأخبار أي يطلبها وكذا قال أبو عبيدة. وقال ابن جرير: ومعنى جاسوا طافوا بين الديار يطلبونهم ويقتلونهم ذاهبين وجائين،..! (وكان) ذلك (وعداً مفعولاً) أي كائنًا لا محالة لازمًا لا خلف فيه .

- وهنا نتعلمُ عظيمَ قدرة الله تعالى، وأن القوةَ له جميعا ، والنصر بين يديه ، وأن لكل ظالم نهاية، وأن سنتَه مضت بتسليط الظالمين بعضِهم على بعض كما قال : (وكذلك نولّي بعض الظالمين بعضًا). وفي هذا بشارة لأهل الإيمان أن الله معهم ونصيرهم على كل عدو ومستكبر، وأنه محيطٌ باليهود وأعمالهم جراء ما فعلوه من تكذيب وفساد في الأرض.. والله تعالى أعلم.

٢٨/ فَسَيُنغِضُونَ إِلَيكَ رُءُوسَهُم..!

- من أشدّ القضايا ، التي تناولها القرآن بقوة وجلاء وحلّ عقدها قضية البعث وصيروة الناس" إلى الحساب العظيم في المشهد البشري الخاتم... قال سبحانه : (قُل كُونُوا حِجَارَةً أَو حَدِيدًا. أَو خَلقا مِّمَّا يَكبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُم أَوَّلَ مَرَّة فَسَيُنغِضُونَ إِلَيكَ رُءُوسَهُم وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُل عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيبا) [الإسراء: ٥١] . فقوله : (فسينغضون إليك رؤوسهم) أي يحركونها استهزاءً، يقال نغض رأسه ينغض نغضًا ونغوضًا إذا تحرك. وأنغض رأسه ، حركه كالمتعجب من الشيء (ويقولون) استهزاءً وسخرية (متى هو) أي البعث

والإعادة (قل عسى أن يكون قريبًا) أي هو قريب لأن عسى في كلام الله واجب الوقوع ومثله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبًا وكل ما هو آت قريب.

- وهذا خطابٌ لمنكري البعث الجاحدين لرجعة الناس يوم القيامة، وأن الذي خلقكم أول مرة قادرٌ على الإعادة..! ولذلك تحداهم تعالى بقوله: (قل كونوا حجارةً او حديدا) أَشَدُّ امتناعا مِنَ العظام والرفات ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ قيل: الموت . أو كالسماء والجبال، فستعادون بلا لغوب ولا متاعب، إن الله على كل شيء قدير .
- والآيةُ دليلٌ قاطعٌ على وقوع البعث، وعظمِ قدرة الخالق ، وأنه لا يُعجزهُ شيءٌ في الأرض ولا في السماء ، وهو العليم

القـدير . ولـذلك إذا حضـرَ موعـدهم وقيـام النـاس لـرب العالمين، هبّوا بلا تلعثم ولا تـردد، كما قال عقبها : (يَومَ يَدعُوكُم فَتَستَجِيبُونَ بِحَمدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثتُم إِلَّا قَلِيلا﴾ [الإسراء : ٥٢] . ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ للبعث والنشور وينفخ في الصور ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ أي: تنقادون لأمره طواعيةً ، ولا تستعصون عليه. وقوله: ﴿بحمده﴾ أي: هو المحمود تعالى على فعله ويجزي به العباد إذا جمعهم ليوم التناد. ﴿وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ من سرعة وقوعه وأن الذي مر عليكم من النعيم والثراء ، لا قيمة له، وكأنه لم يكن ويتم ، كما قال : (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشيةً أو ضحاها).سورة النازعات .

- وينبغـي للـدعاة حيـالَ تلـك الصـورة الاسـتهزائية، الصـبرُ والاحتمـال ، والمحاجـة بـالتي هـي أحسـن، وأن طريـقَ الدعوة والإصلاح ليس بمنأى عن ذلك كله ، وذلك سبيل المرسلين ، فستلاقي كلامًا نابيًا ، وستعاين فعلًا ساخرًا ، وموقفًا جافيًا، فلا تكترث لذلك كثيرا ، ولا يقع منك موقع الضعف والإحباط.. والله الموفق .

٢٩/ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُم وَالغَاوُنَ..!

- لم يكن دخولُ المجرمين النار على سلام وهدوء ، بل بذل وعنف ومهانة..! وهنا صورة من صور تعذيبهم والتنكيل بهم ، حيث إنهم إذا أُدخلوا جهنم ، أُدخلوها ملقَينَ مكبكبين على وجوههم...! صورةٌ تهتز لها الجسوم...قال تعالى : (فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُم وَٱلْغَاوُنَ) [الشعراء ٩٤] معنى رهيب يحمل كل معاني العار والنكبة والتأنيب، والمرادُ : (فكبكبوا فيها) أي أُلقوا في جهنم على رؤوسهم. وقيل قُلبوا على رؤوسهم. قيل أُلقي بعضهم على بعض. وقيل جُمعوا. قاله ابن عباس مأخوذ من الكبكبة وهي الجماعة . وفي عاميتنا: كبّ الشيء إذا ألقاه ونكسه ، ولم يلقه بهواده..! فكأنهم ومع

مصـيرهم الأسـود لا يُلقَـون فيهـا بلطـف ، بـل بشـدة وقهـر وصلف، والله المستعان .

- ولعـل استشـعارَ هـذا المعنى يخيفنـا مـن النـار ومـآل أهلهـا ، وأنها أسوأ ما خلـق الله في المقـت والصـفة وسـوء العاقبـة ..! وهذه الكبكبةُ تشملهم وآلهتهم ، كما قال :(هـم والغـاوون ، وجنود إبليس أجمعون) أي شياطينه الذين يغوون العباد من الإنس والجن. وقيل ذريته وأتباعه. ثم تجري بيـنهم محـاورة مشـهورة في النـار، أيـًا مـنهم السـبب.(قَـالُوا وَهُـم فِيهَـا يَختَصِمُونَ تَٱللهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰل مُّبِينٍ إِذ نُسَـوِّيكُم بِرَبِّ ٱلعَـٰلَمِينَ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا ٱلمُجرِمُونَ). وَمَا أَضَـلَّنَا عـن طريق

الهدى والرشد ودعانا إلى طريق الغي والفسق ، وتسبب في هلاكنا إِلا الْمُجْرِمُونَ وهم الأئمة الذين يدعون إلى النار..!

- ثم إنها تتعاظمُ عليهم الحسرة آنذاك، وتشتد بهم الندامة .. فيقولون: ﴿فَما لَنا مِن شافِعِينَ ولا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ يعترفون بعزلتهم وإفلاسهم المنكي لهم ، أنه ليس لهم في هذا اليوم من شافعين رحماء يشفعون لهم عند الله تعالى لا من الملائكة ولا من الإنس والجن ، إذ لا شفاعة تنفع من مات على الشرك والكفر، وقولهم ولا صديق حميم أي وليس لنا أي من صديق حميم تنفعنا صداقته وولايته. وقالوا متمنين بعد اليأس من وجود شافعين ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً﴾ أي رجعةً إلى دار الدنيا ﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فنؤمن ونوحد ونراقب

الله . والله المستعان . مشهدٌ وحالة تبعث على الأسى والاعتبار الشديد ، لمن تأمل واتعظ، ولا حولَ ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ..!

٣٠/ فَلَمَّا رَأَتهُ حَسِبَتهُ لُجَّة..!

- لا يطوِّعُ الوجهاءَ والملوك إلا ملوكٌ أكابر مسدَّدون من الله تعالى، فقد قيّض الله لملكة اليمن بلقيس ، سليمان عليه السلام ، الذي جمع الله بين الملك والنبوة، وسخر له الجن والإنس والريح، فدعاها الى الإسلام ، واستجلب عرشها في لمحة بصر، وأدخلها في عظيم نعم الله عليه.. ومن ذلك :

(قِيلَ لَهَا ٱدخُلِي ٱلصَّرحَ فَلَمَّا رَأَتهُ حَسِبَتهُ لُجَّة وَكَشَفَت عَن سَاقَيهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرح مُّمَرَّد مِّن قَوَارِيرَ قَالَت رَبِّ إِنِّي ظَلَمتُ نَفسِي وَأَسلَمتُ مَعَ سُلَيمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلعَٰلَمِينَ) [النمل ٤٤] .

لَمّا أراها سُلَيْمانُ عَظَمَةَ حَضارَتِهِ انْتَقَلَ بِها حَيْثُ تُشاهِدُ أثَرًا بَدِيعًا مِن آثارِ الصِّناعَةِ الحَكِيمَةِ وهو الصَّرْحُ. والصَّرْحُ يُطْلَقُ

عَلى صَحْنِ الدّارِ وعَرْصَتِها. وكأنها هنا ساحَةٌ مَعْنِيَّةٌ لِلنُّزْهَةِ فُرِشَتْ بِزُجاجٍ شَفّافٍ وأجْرِيَ تَحْتَهُ الماءُ، حَتّى يَخالَهُ النّاظِرُ لُجَّةَ ماءٍ. وهَذا مِن بَدِيعِ الصِّناعَةِ الَّتِي اخْتُصَّتْ بِها قُصُورُ سُلَيْمانَ في ذَلِكَ الزَّمانِ لَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً في اليَمَنِ عَلى ما بَلَغَتْهُ مِن حَضارَةٍ وعَظَمَةِ بِناءٍ.

- وقِيلَ لَهَا (ادْخُلِي الصَّرْحَ) فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً ، أي ماء، وفي اللغة : وَلُجَّةُ الْبَحْرِ: حَيْثُ لَا يُدْرَكُ قَعْرُهُ. وَلُجُّ الْوَادِي: جَانِبُهُ. وَلُجُّ الْبَحْرِ: عُرْضُهُ، وقيل معظم البحر . فتوهمت أنه ماء ، لأن القوارير شفافة، يُرى الماء الذي تحتها كأنه بذاته يجري ليس دونه شيء، وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا لتخوضه. وهذا علامةُ عقلها وأدبها، فإنها لم تمتنع

من الدخول للمحل الذي أمرت بدخوله ، لعلمها أنها لم تستدعَ إلا للإكرام ، وأن ملك سليمان وتنظيمه قد بناه على الحكمة ولم يكن في قلبها أدنى شك من حالة السوء بعد ما رأت ما رأت. فلما استعدت للخوض قيل لها: إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ أي: مملَّس مِنْ قَوَارِيرَ ، فلا حاجة منك لكشف الساقين. فحينئذ لما وصلت إلى سليمان وشاهدت ما شاهدت من العظمة ، وعلمت نبوته ورسالته ، تابت ورجعت عن كفرها و قَالَتْ " رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ " .

- ونستفيد هنا عِظمَ منّة الله على عبده سليمان عليه السلام ، حيث سخر له ملكًا عظيمًا ، فأذعن له الجميع ، وأن الدين

مع الدنيا خيرٌ من دين بلا دنيا ولا تمكن، وأن دلائلَ الحق كافيةٌ في هداية أعتى البشر ، إذا صفا المقصدُ ، وأن لدى أنبياء الله من القوة والبينات ما يؤمنُ عليه كلُّ مبصر ومعاين ، وفضلُ تعفف المرأة وسترها، وموافقة الصالحين إذا تبين الحق .. والله الموفق .

تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

إصدارات المؤلف :

صدر له أكثر من (١٠٠) كتاب منها :

- سلالمُ العلمِ .
- الخطب الحديثية
- أربعون المعالي
- الأربعون الأكثرية
- موقظاتُ التدبر القرآني
- نثار العلم
- من جماليات السيرة النبوية
- محائليات (شعر).
- اليَراعةُ الرمضانية
- مواقف علمية للأئمة الأسلاف. وكلها من (دار تكوين).

- طلائعُ السلوان – دار ابن خزيمة .
- نسماتٌ من أم القرى .
- وطن ومنن
- توهجات النيل
- اللؤلؤ المنظوم في تقريب العلوم .
- سلسلة أربعينيات حديثية متنوعة .

للتواصل :

hamzah10000@outlook.com

